ويرى الشافعي في الترحُّل النجاةَ من الظلم، والسعة في الرزق، مستلهمًا قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ﴾[8]، فيقول:

ارْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا
وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرَقِ
فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْثٌ فِي مَوَاطِنِهِ
وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ
وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ
فِي أَرْضِهِ مَرْمِيٌّ عَلَى الطُّرُقِ
فَلَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ
فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

ويستلهم المعنى ذاته الشاعر العباسي صالح بن عبد القدُّوس (ت 160 هـ)[9]، قائلًا:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبَلْدَةٍ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَذْهَبُ
فَارْحَلْ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةُ الْفَضَا
طُولًا وَعَرْضًا شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ

ويدندن الشاعر محمَّد فؤاد حول هذا المعنى اللَّطيف[10]، قائلًا:

هُوَ الشِّعْرُ رَوْضٌ حِينَ تَصْفُو مَشَاعِرٌ
وَإِنْ نَارَ جَمْرٌ فِي فُؤَادِكَ يَنْضَجُ
تَتِيهُ بِكَ الْأَشْعَارُ بَيْنَ سُطُورِهَا
كَمَا تَزْدَهِي بِالْبُحْتُرِيَّاتِ مَنْبَجُ
فَأَطْلِقْ جَوَادَ الشِّعْرِ إِنَّكَ فَارِسٌ
وَقُلْ لِلسَّانِ الْحَقِّ: هَلْ تَتَلَجْلَجُ؟!
وَسَافِرْ فَفِي الدُّنْيَا غَنَاءٌ وَرِحْلَةٌ
فَمِثْلُكَ مَأْمُولٌ إِلَى الْقَصْدِ يَدْلَجُ
فَإِنَّ طَرِيقَ اللهِ يَسْطَعُ حَوْلَهُ
مَصَابِيحُ مِنْ هَدْيِ الْمَحَجَّةِ تُسْرَجُ

إنَّ طبيعة الموضوعات التي يطرحها الشاعر من قضايا عامة وتاريخ أمة، تجعلها لا تقتصر على المعالجة الشعريَّة فحسب، فيمكن لكاتبِ مقالٍ أو لخطيبٍ أن يتناولها؛ لذلك كنتُ أخشى المباشرة في الأسلوب، فالشِّعر جوهره التخييلُ، وإن اعتمد الشاعر على مثل هذه الموضوعات فإنَّه لا يسردها سرد المؤرِّخ، ولا يعرضها عرض الخطيب، وإنما الشاعر يستلهم ويستشفُّ ويوظف.

فلم يكن الشاعر صلاح عبد الصَّبور –مثلًا– يترجم لحياة أبي الحسين الحلَّاج أو يؤرِّخ لأحداث عصره ومصره، ولكنه ألَّف مسرحيته الشعرية "مأساة الحلَّاج" مستلهمًا وموظفًا ما يشكِّل به المحتوى المعرفيَّ لخطابه، في ضوء جماليَّات ذلك الجنس الأدبيِّ الرَّائق، والذي يسمح للشاعر بالتحليق في سماوات الخيال، فيبتكر صوره ابتكارًا من شأنه أن يخلق عالمًا مسرحيًّا موازيًا؛ فيبتكر حدثًا شعريًّا إلى جوار الحدث الحقيقيِّ، ويرسم شخصيةً شعريةً إلى جوار الشخصية الحقيقية، وهكذا يدور في حَيِّزِ مكانه هو، وفي فلكِ زمانه هو.

كذلك فالشاعر محمَّد فؤاد يستلهم حادثة "الإسراء والمعراج" لما لرواياتها من زخم في التُّراث العربيِّ الإسلاميِّ، ولو أنه توقف عند سردِ أحداث يوم السَّابع والعشرين من شهر رجب لكان خطيبًا مصقعًا! لكنَّه حاول توظيف بنيتها ودلالتها فيما استجد من أحداث، فيقول:

"هَذَا عَامُ الْحُزْنِ..
لَمْ نُبْصِرْ فِيهِ وَمِيضَ شُعَاعِ
لَمْ تُمْطِرْ فِيهِ سَحَابٌ قَطُّ
إِنْ تُمْطِرْ، لَا تَرْوِي إِلَّا الْأَحْزَانَ بِوَادِي الْقَلْبِ
يَا رَبِّ.. أَسْرِ بِعَبْدِكَ لَيْلًا مِنْ أَغْلَالِ الْحُزْنِ
اجْعَلْ لِي مَسْرًى فِي هَدْيِكَ
عَرِّجْ بِي يَا رَبِّ"[11].

فقد استلهم الشاعرُ الباعثَ من وراء الحادثة، وهو التسلية عن قلب النَّبيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– بعدما كذَّبه أهل الطَّائف وَآذَوْهُ، فَلَاذَ بالدُّعاء العريض الَّذي شكا فيه ضعف قوَّته وقلَّة حيلته وهوانه على النَّاس، فكانت رحلة الإسراء والمعراج بمنزلة المدد السماويِّ؛ لذلك فقد جعلها الشاعر سياقًا يُضَمِّنُهُ غرض الدُّعاء، عله يُسمع فيُجاب، وفي مواضعَ أخرى من الدِّيوان يستلهم الشاعرُ الحادثة بوصفها مسرى النَّبيِّ ومعراجهُ، وذلك عند حديثه عن القضية الفلسطينية؛ ليعقد المقارنة بين ما كنا عليه وما صرنا إليه!

ويتميز أسلوب الشاعر محمد فؤاد بنقاء لغته، ودقَّة صياغته، وحسن استعاراته، وامتلاكه حرْفيَّةَ الوزن والقافية، وإن خرج الأسلوب في بعض الأحيان مباشرًا مفتقرًا إلى خيال الشعراء، كذلك معرفته بالمرويات التاريخية المتعددة، مما ميزَهُ بتنوُّع موضوعاته، وإن تكررت بعض الموضوعات أو الأفكار فتشابهت بعض القصائد، ولاشكَّ أنَّ تفرد القصيدة يكون أجود، وإلَّا ما أطلق العرب صفة (اليتيم) على الشيء النادر الذي لا نظير له، فلا يوجد على وجه الأرض من مثله سواه؛ كَالدُّرَّة اليتيمة والجمعة اليتيمة والشجرة اليتيمة... وغيرها، وفي رأيي أنَّ (اليتمَ) أو (الفَرادَةَ) بهذا المعنى أدخلُ في الابتكار، الذي يكون الشعراء إليه أحوج من غيرهم.

المراجع:

(1) محمَّد فؤاد محمد علي: شاعر فصحى، مصري، من مواليد محافظة المنيا في 1959م، حاصل على بكالوريوس علوم وتربية- جامعة المنيا، ودبلوم تحقيق التُّراث من كلية الدراسات العربية- جامعة المنيا، نشرت الكثير من قصائده بالصحف والمجلَّات الثقافية، وأُذيعَت بعض قصائده في الإذاعة والتِّليفزيون، وفاز في الكثير من المسابقات الأدبية، وأصدر ديوانه "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ"، والذي استغرق نظم قصائده زهاءَ عقْدٍ من الزَّمن، من شعر الفصحى (القصيدة العموديَّة وقصيدة التَّفعيلة)، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 1421هـ/ 2000م.

(2) ديوان "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ": قصيدة/ رسالةٌ إلَى أهلِ الشِّعرِ، ص82.

(3) دراسة الدكتور عماد الدين خليل- جامعة الموصل- العراق: كتقديم لديوان "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ"، ص4.

(4) ديوان "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ": قصيدة/ كلمات إلى الوطنِ المُغْتَرِبِ، ص-22 24.

ونشرت القصيدة منفردةً في مجلة إبداع المصرية- عدد نوفمبر 1987م، كما نشرت في جريدة البيان الإماراتية- بتاريخ 28/ 3/ 1996م، كذلك أذيعت بإذاعة عَمَّانَ الأردنيَّة.

وربما دلَّ شيوعها على اتحاد الشأن العربي حول قضية الوطن، وقديمًا قال أمير الشعراء أحمد شوقي: "كُلُّنَا فِي الهَمِّ شَرْقٌ"، والتي سارت من بعده مسير المثل؛ لأنَّ ساقية الهم العربي ما إن تفرغ حتى تمتلئ من جديد!

(5) سورة يوسف- الآية 82.

(6) تكررت الآية في موضعين، هما؛ سورة الحاقة- الآية 21، وسورة القارعة- الآية 7.

(7) تكررت المصاحبة اللُّغويَّة التي تجمع (السَّيْرَ) و(النَّظَرَ) في القرآن الكريم، في غير مَوْضِعٍ هي:

صيغة الفعل المضارع مع الاقتران بحرف العطف/ الفاء (يَسِيرُوا فَيَنْظُرُوا): سورة يوسفَ- الآية 109، وسورة الرُّوم- الآية 9، وسورة فاطر- الآية 44، وسورة غافر- الآيتان -21 82، وسورة محمد- الآية 10.

وصيغة فعل الأمر مع الاقتران بحرف العطف/ الفاء (سِيرُواْ فَانْظُرُوا): سورة آل عمرانَ- الآية 137، وسورة النحل- الآية 36، وسورة النَّمل- الآية 69، وسورة العنكبوت- الآية 20، وسورة الرُّوم- الآية 42.

أما الفصل بينهما بحرف العطف/ ثُمَّ (سِيرُوا ثُمَّ انْظُرُوا)، فقد ورد مرةً واحدةً في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾، سورة الأنعام- الآية 11.

(8) سورة النِّساء- الآية 97.

(9) اشتهر شعره بالحكمة والعظة، ويدور كثير منه حول ذكر الموت، والتنفير من متاع الدنيا الزائل، والحث على طاعة الله –تعالى– ومكارم الأخلاق، ويمتاز بجزالة الألفاظ، ودقَّة القياس، وكثرة التعليل والتدليل، ويقارن بين الأسباب كما يقارن بين النتائج، فيستخلص الآراء الحكيمة من التجارب المعيشة، ورغم ذلك اتهم بالزندقة وقتل بها في عهد المنصور المهديِّ أو هارون الرشيد، والبيتان وغيرهما منسوبةٌ إلى الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– في قصيدته الزَّينبيَّة، ومطلعها: "صَرَمْتَ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ"، ولعلَّ نسبتها الأرجح إلى صالح.

(10) ديوان "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ": قصيدة/ أطلق جواد الشعر، ص43.

ونشرت القصيدة منفردةً في المجلَّة العربيَّة- العدد (158).

(11) ديوان "دماءٌ على خيوطِ الفجرِ": قصيدة/ عام الحزنِ، ص47.

قصة قصيرة

الاعتراف

إبراهيم مشارة

كاتب جزائري

منذ أن نشر تلك المقالة ينتقد فيها أحد المسؤولين على تعسفه في استعمال السلطة على صفحات جريدة إلكترونية لم يهدأ له بال، في البداية كان حماسه يدفعه إلى الكتابة والتنديد وكان يقول لنفسه في نفسه: الساكت عن الحق شيطان أخرس

لما نشر المقالة انسحب الحماس وحل محله الخوف قال في نفسه سيقبضون علي!

حين يقف أمام النائب العام أمام مكتبه الفخم وحركاته الصارمة ونظراته الباردة سيحس بالانسحاق بالتضاؤل سيكون كنملة، كبعوضة أمام هرم كبير سيتلاشى الكلام تنسحب على ملامحه آثار الجريمة:

مخرب، متطاول على الرموز قصد الشهرة

فكر إنه لا يطيق الأماكن الضيقة مصاب برهاب المساحات المغلقة

ردد في صوت أسيف:

سأموت في أول يوم بمجرد دخولي الزنزانة أحس بالاختناق تتسارع دقات القلب يشتد الشهيق والزفير ألم ناحية السرة تعرق فقد التركيز ثم الموت. ليتهم يسجنوني في الساحة!

نخسه صوت غريزي باسم زوجته وابنته، احتمل الألم.

صار يهذي كل حين يطل من الشرفة ربما توقفت السيارة المدنية يخرج منها رجلان يرتديان نظارتان سوداوان عليهما سيماء الصرامة والقسوة يصطحبانه في هدوء إلى داخلها، يلاحظ الجيران ذلك يا لمفارقة!

يعرفونه رجلاً مستقيمًا بيته وشغله حتى المقهى لا يدخله إلا لمامًا

هتك عرض، تبييض أموال، حشيش..... ربما هكذا يحدسون

تذكر أنهم لا يقبضون على من يكتب من يعارض إلا في الليل في منتصفه ومن أجل ذلك قضى ليلته الأولى بلا نوم تقريبًا بات ينتظر سماع صوت السيارة وهي تتوقف أمام منزله أطال النظر في وجه زوجته خدها محمر شهيقها وزفيرها منتظمان قبل ناصيتها وخرج إلى الغرفة حيث ترقد ابنته الوحيدة احتضنها وقبلها طويلاً وانصرف في هدوء.

هكذا إن قبضوا عليه سيكون أهله آخر من رأى أفضل من أن يقبضوا عليه في الشارع.

لما أخذ منومًا حبة كاملة مع أنه تعود على نصف حبة بعد وقت فعل المنوم فعله تخدر ثقلت حركته انتشى قليلاً تذكر الجنائن الاصطناعية لبودلير جنته هو حين تثقل حركته يهدأ رأسه تحط طيور فكره الملتاعة على أفنان السكينة وينام.

حين خرج في الصباح تأمل الشارع برمته لعل فيه سيارة غريبة متوقفة بداخلها شخص يقرأ جريدة على عينيه نظارة، شخص غريب لا عهد له به في الشارع ينظر نظرة محترفة حين رأى شاحنة شركة الكهرباء ورأى رجلاً يمتطي السلم لاستبدال المصباح شك في الأمر لماذا يستبدلونه الآن تحديدًا، منذ أيام والشارع يغرق في الظلام؟

فقد التركيز لا حظت زوجته وابنته شروده، كثرة إطلالته من الشرفة كثرة تفقده للهاتف وكأنه ينتظر مكالمة ليس من العسير معرفة رقمه وشتمه وتهديده فهم يعرفون ما كان وما يكون!

في حالته تلك قرر ألا يذهب إلى العمل فهو منهك بالرغم من أنه نام قليلاً وجهه مصفر تركيزه قليل واضح للجميع أنه يعاني أمرًا.

فكر أنهم سيعذبونه كثيرًا إن لم يبادروا بالقبض عليه لا يستطيع البقاء هكذا طويلاً ساعات مرت عليه طويلة كأن الزمن تجمد.

إنه فريسة محاصرة تنتظر الإجهاز عليها رأسه يكاد ينفجر كلما رن هاتفه التاع صرف مكلمه بقلق.

على مائدة الغداء كان شاردًا يأكل قليلاً حتى الشهية فقدها إنه يؤانس زوجته وابنته فقط ويدفع عن نفسه التهمة بالشرود وتقلب الحال وعلى المائدة رأى أن يكتب إلى تلك الجريدة يخبرها أنه مهدد محاصر لعله يجلب تعاطفًا دوليًا معه لابد له من حماية لم يجرؤ على ذلك هو متعود على الهدوء لا يطيق صخب الإعلام، فضول الناس.....

ليلة أخرى لم ينمها رغم المنوم ونفس الأشياء فعلها حين سمع صوت سيارة قادمة أجفل قلبه خرج إلى الشرفة كانت شاحنة عمال النظافة تجمع أكياس القمامة تنفس الصعداء حدق في السماء بدا له ضوء النجوم مرتعشًا كثيرًا سمع مواء وتعارك قطط أمام بقايا الفضلات حدجها بنظرة حاسدة.

استلقى على السرير كانت الزوجة تغط في نومها تقلبت على جنبها خدها دائمًا محمر شهيقها وزفيرها منتظمان، حدق في سقف الغرفة بما بقي فيه من تركيز فالمنوم خدره لكنه لم ينمه في السقف رأى صورة الفأر حين تلدغه أفعى وتبقى الأفعى تنتظر موت الفريسة بعد شللها لتجهز عليها ذاك زمن معلوم محسوب....

حين طلع النهار قام من فراشه تساءل هل نام حقًا؟، حاول أن يتذكر هل رأى حلمًا ؟ كان متعبًا كأن لم ينم تذكر الأفعى والفأر فتح جهاز الكمبيوتر طبع المقال ووضعه في جيبه قبل زوجته في ناصيتها استغربت لم يعلق احتضن ابنته وأطال ذلك صفق الباب وخرج.

كان يلاحظ وجوه الجيران وهو يلقي عليهم التحية لعل في ردهم شيئًا غريبًا لعل في نظرتهم ما يريب قال في نفسه فليرتابوا انتهى كل شيء أكمل المسير لا يستقر على حالة ولا على فكرة إلا على قرار واحد.

اقترب من مقر الشرطة ألقى التحية على الشرطي الواقف لم يدخل في حياته مقرًا لهم أخبره أنه يريد الإدلاء بشي خطير خاص.

ساقه الشرطي إلى حجرة الضابط المحقق جلس على كرسي أخرج المقال واعترف بكل شيء.